التقـــديم والتأخـــير

١ – تعريف التقديم والتأخير:

يمكن تحديد مفهوم التقديم والتأخير في نظم الكلام وتأليفه بأنه" تبادل في مواقع الكلمات بحيث تترك الكلمة مكانها في المقدمة، لتحل محلها كلمة أخرى، وذلك لتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها المحدد الذي اقتضته قاعدة الانضباط اللغوي"[١]، ولهذا فان التقديم والتأخير من الأساليب التي تدل على مرونة اللغة العربية، زمن الوسائل التي يلجآ إليها الأديب أو في تغيير صياغة الجملة، والتصرف في الرتب المحفوظة لغايات وأسرار بلاغية.

٢- تعريف المسند والمسند اليه:

لكل جملة رُكنينِ مسنداً – ويسمى محكوماً به – أو مُخبراً به ومُسنداً إليه، ويسمى محكوماً عليه – أو مُخبرا عنه والعلاقة التي بينهما فتُدعى «إسناداً» وما زاد على المسند والمسند إليه من مفعول وحال، وتمييز، ونحوها تسمى قيود

ومواضع المسند ثمانية:

(١) خبر المبتدأ – نحو «قادرٌ» من قولك – الله قادرٌ.

(٢) والفعل التام – نحو «حضر» من قولك – حضر الأمير.

(٣) واسم الفعل – نحو «هيهات – وَوَى – وآمينَ.

(٤) والمبتدأ الوصفُ المستغنى عن الخبر بمرفوعه – نحو «عارف» من قولك – أعارفٌ أخوك قدرَ الإنصاف.

(٥) وَأخبار النَّواسخ «كان ونَظَائرُها – وإنَّ ونظائرُها»

(٦) والمفعول الثاني – لظنّ وأخواتها.

(٧) والمفعول الثالث – لأرَى وأخواتها.

(٨) والمصدر النّائب عن فعل الأمر – نحو «سعياً في الخير»

وَمواضع المسند إليه ستة:

(١) الفاعلُ «للفعل التّام أو شبهه» نحو «فؤاد – وأبوه» من قولك حضر فؤادٌ العالم ابوه.

(٢) واسماء النَّواسخ: كان وأخواتها، وإنّ وَأخواتها – نحو «المطرُ» من قولك –كان المطر غزيراً، ونحو: إنّ المطرَ غزير

(٣) والمبتدأ الذي له خبر – نحو «العلم» من قولك: العلم نافع.

---

[١]() ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل، سلطان منير، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٨، ص١٣٨

(٤) والمفعول الأول – لظنّ وأخواتها.

(٥) والمفعول الثاني – لأرَى واخواتها.

(٦) ونائب الفاعل –كقوله تعالى (ووضع الكتاب)

٣– أغراض التقديم والتأخير:

في تقديم المسند إليه: يقدم المسند إليه لأغراض، منها:

١– أنه الأصل إذ هو المحكوم عليه ولا مقتضى للعدول عنه، نحو: العدل أساس الملك.

٢– ليتمكن الخبر في ذهن السامع؛ لأن في المبتدأ تشويقا إليه كقوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} ١ وقول أبي العلاء:

والذي حارت البرية فيه ... حيوان مستحدث من جماد

يريد أن الخلائق تحيرت في المعاد الجسماني، كما يرشد إلى ذلك ما قبله:

بأن أمر الإله واختلف الناس ... فداع إلى ضلال وهادي

فإتيانه بالمسند إليه على تلك الشاكلة موصوفا بحيرة البرية فيه، يستدعي تشوق السامع إلى أن يعرف ما حكم به عليه، فإذا جاء الخبر تمكن في النفس لما تقدمه من التوطئة له.

٣– تعجيل المسرة للتفاؤل؛ لأن السامع إذا قرع سمعه في ابتداء الكلام ما يشعر بالسرور هش وفرح به، نحو: الهدى في قلوب المخلصين.

٤– تعجيل المساءة ليتطير السامع ويتبادر إلى ذهنه حصول الشر بادئ ذي بدء، نحو: السجن على جهة التأييد حكم به عليك اليوم.

٥– التبرك به نحو: اسم الله اهتديت به.

٦– إيهام أنه لا يزول عن البال لكونه مطلوبا، نحو: رحمة الله ترجى، نصر الله قريب.

٧– إفادة التخصيص إذا كان الخبر فعلا وولي المسند إليه حرف النفي، نحو: ما أنا قلت هذا، أي: لم أقله وهو مقول لغيري. لا تقول ذلك إلا في شيء ثبت أنه مقول، لكن تريد أن تنفي كونك قائلا له. ومنه قول المتنبي:

وما أنا أسقمت جسمي به ... ولا أنا أضرمت في القلب نارا

إذ المعنى: ما أنا الجالب لهذا السقم الموجود والضرم الثابت، ولأجل هذا لا تقول: ما أنا قلت هذا ولا أحد غيري للتناقض بين أول الكلام وآخره، ولا ما أنا رأيت كل أحد؛ لأنه يفيد أن غيرك رأى كل أحد، ولا ما أنا كلمت إلا محمدا؛ لأنه يقتضي أن يكون إنسان غيرك قد كلم كل أحد سوى محمد١.

فإن لم يل المسند إليه حرف النفي، فإم أن يكون معرفة أو نكرة، فإن كان كان معرفة أفاد تقديمه أحد أمرين:

أ- تخصيصه بالمسند ردا على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه، كما تقول: أنا سعيت في حاجة فلان، وعلى الأول يؤكد بنحو: لا غيري، وعلى الثاني بنحو: وحدي.

ب- تقوية الحكم وتقريره لدى السامع بدون تخصيص، كقولك: هو يعطي الجزيل، وهو يحب الثناء. ألا ترى أنك لا تريد أن غيره لا يعطي الجزيل ولا يحب الثناء.

في تقديم المسند: يقدم المسند لأغراض، منها:

١- تخصيصه بالمسند إليه، نحو: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ} ، {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ، {لَا فِيهَا غَوْلٌ} ،

٢- التنبيه ابتداء دون حاجة إلى تأمل في الكلام على أنه خبر لا نعت، كقوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} ، وقول أبي بكر بن النطاح في وصف أبي دلف العجلي:

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها ... على البر كان البر أندى من البحر

٣- التفاؤل بسماع ما يسر المخاطب، نحو:

سعدت بغرة وجهك الأيام ... وتزينت بلقائك الأعوام

٤- التشويق إلى ذكر المسند إليه، ويكثر ذلك في باب المدح، كقول محمد بن وهيب يمدح المعتصم:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

وفي باب الوعظ كقول أبي العلاء المعري:

وكالنار الحياة فمن رماد ... أواخرها وأولها دخان